

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إن الله فطر العرب على التكلم بلسان عربي مبين، وبقوا محافظين على سليقتهم فترة طويلة، إلى أن اختلطوا بغيرهم من الأمم، خارج حدود الجزيرة العربية، وعلى أطرافها، فسبب لهم هذا الاختلاط أن فسدت ألسنتهم، وظهر فيهم اللحن ظهوراً حتم عليهم أن يفكروا في حماية لغتهم، وصونها مما أفسد لها فصاحتها الأصيلة، ولسانها القويم.

عندئذ ظهر النحو العربي وسيلة لحفظ اللغة العربية، و على هذه الاعتبار و خصائص وأحكاما استتبطها النحاة من أصول يرجعون إليها في إصدار تلك الأحكام، وأدلة يحتجون بها على ذلك، وأساسا يبنون عليها استنباطاتهم، ويستخرجون قواعدهم اللغوية المختلفة. تلك الأصول، أو الأدلة والأسس هي ما عُرف فيما بعد بعلم أصول النحو "الذي علاقته بالنحو علاقة الأصل بالفرع، أو البناء بالأساس، وأدق من ذلك أنها علاقة الحكم بالدليل؛ فأصول النحو هي أدلة النحو التي استنبطت منها أحكامه وقواعده. و لغل من أهم محاور علم "أصول النحو" تلك التي تُركز على الأصلين المتفق عليهما: الأصل النقلي وهو السماع والأصل العقلي وهو القياس.

يعد النحو العربي الضابط الأساس لسلامة اللغة العربية، لذلك سارع الغيورون على القرآن الكريم إلى وضع قواعد نحوية تعصم هذه اللغة من اللحن (الخطأ و الزلل) خاصة بعد ظهور الإسلام ، و دخول الأعاجم إلى هذا الدين الجديد.

و على هذا أساس، دخول الأجانب إلى الإسلام فقد نتج ظهور اللحن من كثير من القراءات القرآنية، فسارع كثير من محبي اللغة إلى وضع النقاط على الحروف و وضع قواعد نحوية ، و كانت البداية مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مروراً إلى أبي الأسود الدؤلي فالخليل فسيبويه حتى ظهر الكتاب الذي ألفه سيبويه بإتباع أستاذه الخليل و شيخه حماد بني سلمة الذي كان يعلمه الحديث الشريف .

و يعد كتاب سيبويه ـ الكتاب العاصم من الخطأ و الزلل، لأنه قام بجمع كل ما قالته العرب الفصيحة و ما تكلمت به فما معنى النحو؟ و ما هي وظائفه؟ و ما علاقته بالبلاغة؟

و انطلاقاً من هذه الإشكالية يتحتم على الدارس أن يبدأ بإعطاء نبذة عن مفهوم علم النحو، و التعريف بأصوله ومصادره :من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر والنثر، ثم القياس وأقسامه وأنواعه المختلفة، ثم العلة النحوية وتفرعاتها الكثيرة المختلفة وانتهاء بالعامل النحوي، وما أثير حوله من خلاف أقسامه وأنواعه. وقد اعتمدنا على أبرز المصادر والمراجع في ذلك : (لمع الأدلة في النحو) لابن الأنباري و (الاقتراح في أصول النحو وجدله) للسيوطي و (أصول التفكير النحوي) لعلي أبي المكارم . بالإضافة إلى مصادر أخرى سنذكرها لاحقاً و مازلنا نسمع عن دعوة تجديد النحو وتيسيره من أولئك القائمين على خدمة اللغة من علماء النحو، والباحثين والمجامع اللغوية، لأجل تخليص النحو مما علق به طيلة عصور من الزمن.

والنحو منذ تلقفته الأيدي الأولى لنحاة البصرة والكوفة خالطته بعض الآراء الفلسفية في كثير من مسائله، أردته في متاهة التأويلات والتقديرات التي زادت من تعسيره وجعلت مطلب فهمه بعيد المنال على المبتدئين والباحثين على حد سواء. و لم يكن التجديد حديث العصر سيبويه ، بل سعى إليه كثير من علماء النحو في عصور خلت أمثال (ابن مالك) و (ابن هشام) ، و (ابن مضاء القرطبي) وغيرهم .

ومن علماء العصر الحديث (إبراهيم مصطفى) و (إبراهيم أنيس) و (مهدي المخزومي) و (شوقي ضيف) و (تمام حسان) ، وغيرهم من الباحثين واللسانيين العرب وغير العرب الذين لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً، ولكن هل قام المحدثون بتجديد النحو ؟ وما هي وجوه التجديد لديهم ؟ وما الذي أضافوه للنحو العربي ؟ وهل اتسمت محاولاتهم باستحضار الجديد في النحو أم هل بقيت أسيرة القراءة الناقدة التي لم تضيف إلى النحو شيئاً؟ وما تأثير ذلك على الأحكام النحوية؟.

و انطلاقاً من أهمية النحو في تقويم اعوجاج الناطقين باللغة العربية ، و ما يؤديه النحو من وظائف في توجيه المعاني و الدلالات فقد ارتأينا أن ندرس علاقة النحو بالبلاغة و ذلك أن هذين العلمين لا ينفصلان ، بل يشغلان في واحد، حيث يمد النحو و البلاغة بخدمات جليلة تتمثل في جمال التعبير و رونقه مما أدى إلى ظهور مقاربات لغوية كثيرة كالأسلوبية ، و السيميائية، و تحليل الخطاب و الشعرية، و الجمالية

و غيرها من النظريات اللغوية التي تعتمد على النحو و البلاغة و لكن نقتصر على ظاهرة (التقديم و التأخير) لما لهذه الظاهرة من وظائف في توجيه المعاني و الدلالات خاصة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى: " (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) فاطر/28 . فالملاحظ هنا تقديم المفعول به لفظ الجلالة (الله) و تأخير الفاعل و ذلك لأهمية المقدم على المؤخر و الأمثلة في (دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني كثيرة. لذلك سنعتمد على هذين المصدرين كثيراً في علاقة النحو بالبلاغة. و لقد رسمنا لبحثنا الخطة الآتية:

مدخلاً : تحت عنوان : مفهوم النحو عند العرب القدامى

فصلاً أولاً: عالجنا فيه : أعلام النحو العربي (سيبويه ، ابن السراج ، ابن جني.....)

فصلاً ثانياً: تناولناه فيه : أعلام البلاغة العربية و أهدافها .

فصلاً ثالثاً: كان مساحة لإسقاط الفصلين الأول و الثاني .

عنوانه بـ: (وظائف النحو في تحديد الدلالات البلاغية) و اقتصرنا على ظاهر (التقديم و التأخير) لأن مجال البحث لا يتسع لغيره من الظواهر اللغوية البلاغية، من حذف و تعريف و تنكير و وصل و فصل..... و اعتمدنا على المنهج التاريخي و الوصفي والاستقرائي و ذلك أن مجال البحث يحتاج إلى تكامل هذه المناهج، و أما مصادر و مراجع البحث : فقد تفاوتت حسب أهميتها نذكرها:

1- الكتاب: لسيبويه (أسرار البلاغة) .

2- (الدلائل الإعجاز البلاغة) و(أسرار البلاغة)لعبد القاهر للجرجاني

3- (العقد الفريد) : ابن عبد ربه .

4- (البيان و التبیین): للجاحظ.

و فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا نذكر منها كثرة المراجع التي تتشابه فيها المعلومات مما يصعب علينا عملية الأخذ ، و لكن على الرغم من ذلك ، فقد اختصرنا على أهمها من منظورنا الشخصي. و ختمنا بحثنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

و الله ولي التوفيق